التربية والتعليم

انتظام الاوقات

من مقالة للدكتور تولوز نشرت في « الجورنال »

من بورك له بساعات عمره لا يقضيها الا في النافع ولا يبارك له فيها الا اذا عرف قيمتها ولم يؤخر عمل اليوم للغد. فان التسويف والارجاء من الآفات التي تضيع فيها الاعمار سدى. وكم ارجأ ناس عملاً اقتضى عليهم ان يقوموا باعبائه لساعته فضاعت الشهور بل السنون ولم يتمكنوا من معاودته. ومن الفتيان الاغمار من يذهبون الى ان تمام الحرية الخلاص من كل قيد وسلطة ونزع كل ربقة من الرقبة يعدّون ذلك غاية الغايات في السعادة وما اضمن الطرق لسعادة المرء ونجاحه الا ان يلزم نفسه قاعدة لا يتعداها في عمله مهما جاءت قاسية عليه بادىء الرأي.

والتوقيت في المدارس وساعات الصفوف والدروس هو من احسن القواعد التي تنشيء التلميذ على حب النظام والا لرغب عما لا يحبه من الدروس الى ما يحبه وفي ذلك يضيع عليه فوائد من العلم. كلما تقدم الطالب في سني الدراسة قلت عنايته بتحديد معلوماته فيقل حفظه ويكثر فكره وبهذا ترى الطالب لا يستقر في ذهنه الا ما استظهره في سنيه الاولى من الكتاب او المدرسة الابتدائية. وسببه ما كان يقضي عليه مراعاته من التوقيت والتحديد ودوران اليد العليا فوق رأسه. ولكل صناعة قواعد خاصة بها. وهيهات ان تستقيم اعمال ادارة الا اذا روعيت فيها هذه القواعد كل المراعاة. فان احبّ الناس المخازن الكبرى فذلك لان كل من فيها من المستخدمين يدققون في تعاطي وظائفهم. ولقد اجمع العالم على الاعتراف بان مشروعاً تجارياً هو ارقى في شؤونه من ادارة عامة اذ يحاول القائمون باعباء ذاك المشروع ان يرضوا زبنهم ما امكن ففي البيوت التجارية يجيبون على الرسائل يوم وصولها والبريد هو المعين على الرؤساء والموظفين. اما في الادارات فان الرسائل تطرح جانباً وتظل اياماً طويلة في قاطر الكتاب دون ان يجاب عليها ولا يسأل احدهم عنها مسئولية فعلية.

ولا يكفي اعتراف النفس بالواجب ليحسن المرء القيام به بل ان التصديق على عمل العامل ضروري في كل فرع من فروع الاعمال واذا تُرك العامل في اي شركة او ادارة كانت ولم تراقب اعماله بعمل في عشر سنين ما كانت الشركة تعمله في سنة. ومن اللازم اللازب تمشية القواعد على الكبار قبل الصغار والا ساءت الحال. وبحق ما يذهب اليه العقلاء من انه

بعدٌ من صيئات النظام الاجتماعي ان يعفي الكبراء من كل قيد ويرهق الصغار باثقال القيود والقواعد فلقد حدث عن ذلك كثير من الادواء الحاضرة

ومما يصاب به ضعاف القلوب والارادة ان يكونوا احراراً في اعمالهم . ولقد عرفت موظفاً كان مثال الغيرة والمواظبة على العمل ايام كان في وظائف صغيرة فالتدرج في المناصب وعدّ في مصاف الرؤساء أصيب بالاضمحلال في كل اعماله وصار يمشي مع هواه غير مراقب لامس واليوم حسابا . ولعلّ بعضهم يعترض على كلامي هذا ويقول ان هذا الموظف كان مخطئاً في اخلاقه اما انا فلا أجيب من يلومونه الا بانهم كانوا يسيرون كما سار لو صاروا الى مثل ما صار اليه . واني لارثي لحال من يقول ان منصبي حسن وعملي سهل وانا حر لا يراقبني مراقب فلا يد فوق يدي ولا ارادة تحول دون ارادتي اذ القائل ذلك هو حقاً عبد نفسه واهوائه ورذائله . ومما طوح بامبراطرة الرومان فافرطوا في الشهوات واسترسلوا في الموبقات انهم كانوا يتمتعون بسلطة كبرى ولو حرم نيرون الظالم ما كان حصل له من السلطة لعاش ولا جرم عيش الاشراف بلا دبدبة بعيداً عن المفاسد والشرور .

واني لموقن بان القواعد التي تصدّ من يعمل بها عن الوناء هي التي تسهل امامه عقبات الاشغال وتجعلها في عينه هينة لينة . وعسى ياهذا حتمت على نفسك ان تنام كل ليلة الساعة العاشرة تشعر من نفسك بعد اعتيادك ذلك بغاية الانبساط الحقيقي :

لا يتأتى بلا قاعدة لاسرع الناس على العمل ان يقوم باسباب حياته على ماينبغي فيتعب ابداً في تكبه العمل الذي لا يروقه الى ما يروقه . من اجل هذا رأينا العاملين من الناس يبطئون في الجواب على الرسائل الواردة اليهم ونرى بعضهم لا يتسع لهم الوقت للمطالعة اللازمة وآخرين لا يعبأون بالامور الخارجية . وكل ذلك فيه مافيه من الاسباب المضرة في المجتمع . فالقاعدة النافعة هي التي تنادي العامل بها : هاقد آن وقت المراسلات . هاقد آن لك ان تكتسب معارف جديدة . ها قد حق عليك ان تزور اصحابك وتفشي خاصتك . وارى ان السير على مقياس الزمن (كرونومتر) يصعب على المثقفين وعلى كل من يستهويهم الشعور ويسيرون بحسب الاحساس ولكني على يقين من انه لاشيء اجدى نفعاً في العلم والسياسة من التوقيت والانتظام

هذه القاعدة واجبة حتماً على كل امريء في العالم ولكنها اشد وجوباً على ضعاف الارادة والمترددين في نياتهم واعمالهم ممن يقتضي ان يكون لهم ابداً وصي او مسيطر ينفخ فيهم الروح التي بها يعملون . ولقد عالجت احدهم بلغ به الضيق ان انقطع عن كل عمل فصرت أصف له كل يوم كيف يسير وكيف يقطع النهر ويصعد الشارع المؤدي الى ساحة المريخ ويدخل المخزن

الغلاني ويبتاع ربطة لرقبته ويذهب الى محل التمثيل يشهد رواية ويبقى في مكانه الى انتهاء المشهد فيخرج علاجي وانتهى ضعفه وصار بعد يؤنث لنفسه ولا يجري على هوى ارادته

مطبوعات ومخطوطات

كتاب الحيوان

تقدم لنا في صدر هذا الجزء ان للجاحظ كتباً كثيرة في معظم العلوم. وكتابه الحيوان هو أم كتبه ومن احسن ماخط بنانه بدليل ان كثيراً من العلماء فيما مضى خدموه وعنوا به فالاديب منهم اقتصر على ماورد فيه من الفوائد الادبية واللغوية والعالم جرده من الاديبات واقتصر فيه على العلميات وممن اختصره عبد اللطيف البغدادي العالم الحكيم المشهور والقاضي السعيد بن سناء الملك الشاعر المصري المشهور وسمى مختصر روح الحيوان وقد قال فيه صاحب وفيات الاعيان : « ومن احسن تصانيفه واممتعها كتاب الحيوان فلقد جمع فيه كل غريبة وكذلك كتاب البيان والتبيين » ضبع البيان والتبيين منذ بضع سنين الا ان نفوس العالمين والمتأدبين ما برحت مشتاقة للانتفاع ايضاً من كتاب الحيوان الذي ورد ذكره على كل لسان واشتهر امره على كر الدهور والازمان

وقد احياه بالطبع هذه الآونة الفاضل محمد افندي السامي المغربي فطبع منه الى الآن اربعة اجزاء وبقي منه ثلاثة وذلك على نسخة مخطوطة في دار الكتب الخديوية مقابلاً على نسخة في مكتبة الازهر وذلك بحرف واضح وشكل بديع وورق جيد مثل جميع ما طبع حتى الآن .

وانا لاتحضرنا عبارة في بيان فضل هذا الكتاب فان ماصدر منه لم نتمكن من مطالعته كله ولو طالعناه مرة ما اكتفينا به لان كلام الجاحظ كما تكرر حلا وحسن به النفع . الكتاب تتمثل في كل صفحة من صفحاته عقل الجاحظ وفضل علمه وسعة مداركه واطلاعه في فنون الادب والشعر ولو اعتمدته المدارس في دهرنا لتدريس فن الادب لجاء من قارئيه ومتدارسيه كتاب يعيدون العربية الى سابق حياتها والادب الى نضرته المعروف بها في عصور الحضارة الاسلامية الاولى . وكنا نود لا يتراجنا بحب كتاب الجاحظ اليوم ان نخص هذا الجزء بمزيد كلام على الجاحظ ومصنفاته بالتفصيل لولا ان رأينا انفا لو وقفنا